

ما هو الحرف المناسب لكتابة: الأمازيغية؟

- حرف تيفيناغ؟
- الحرف اللاتيني؟
- الحرف العربي؟

أ. سي حاج م. م. طيب

ما هو الحرف الأنسب لكتابة الأمازيغية؟

من المعروف أن هناك ما يشبه المعركة حول اختيار الحرف المناسب لكتابة الأمازيغية. ولقد تعددت الآراء وتضاربت الأهواء. ولا نعتقد أننا جانبنا الصواب إذا قررنا أن وراء بعض الآراء أهدافا وأغراضا لم تستطع السمو إلى مستوى التجرد والحياد العلمي. ونرجو أن يكون ذلك عن حسن نية. ونحن بدورنا نحاول أن ندلي بدلونا في الموضوع، حريصين كل الحرص على ألا نقع فيما وقع فيه غيرنا من الانسياق وراء العواطف على حساب المنطق والعقل والحقيقة، ونأمل أن يكون التوفيق بجانبنا.

الصعوبات الحتمية لكل حرف: نحن نعلم أن نوع الحرف المقترح لكتابة

الأمازيغية لا يعدو ثلاثة:

1. حرف تيفيناغ. 2. الحرف اللاتيني. 3. الحرف العربي.

دعونا نتصور الصعوبات المحتملة لكل حرف؛ ولنحلل الصعوبات بكل حياد

وتجرد؛ للوصول إلى الحقيقة المؤكدة.

1 . حرف تيفيناغ: لا شك أن ما يتبادر إلى الأذهان أن الحرف المناسب لكتابة

آية لغة هو الحرف الذي كتبت به لأول مرة في تاريخها، وهذا المبدأ ينطبق على الأمازيغية دون شك. ولكن بعد قليل من التأمل نجد أن هذا المبدأ، رغم منطقيته يعسر توظيفه في الواقع؛ ذلك أن - تيفيناغ - أحاطت بها ظروف ليست في صالحها؛ مما أدى إلى إهمال استعمالها لحقبة طويلة من الزمن؛ حتى كادت تندثر، وينساها الناس زيادة على أنها لم تحظ بقدر كاف من الاهتمام من قبل الباحثين ليرفقا بها إلى المستوى المطلوب. حتى أن النطق الصحيح بحروفها اليوم، لا يكاد يحسنه إلا القليل النادر جدا.

وعلينا أن نتصور الصعوبات التي تعترض هذه الحروف المهجورة لجعلها تلتحق بغيرها من حروف اللغات الأخرى التي خضعت لتحسينات وتعديلات واسعة متكررة عبر مسارها الطويل. ولكي تبلغ مستوى النضج الذي يؤهلها لتتبوأ مكانتها ميدانيا يجب بذل جهود مضيئة طويلة المدى، قد تستغرق أجيالا... وهذه طبيعة كل اللغات؛ لأن اللغات إنما تتطور بالاستعمال المستمر الطويل الأمد. وهذا ما لم يتح - مع الأسف - للأمازيغية قديما، لكن هل في صالحها أن تبدأ تحبو من جديد للحاق بالركب؟ وهل ذاك اللحاق ممكن عمليا؟ ثم إنها بعد أن يستقر استعمالها، ألا تحتاج إلى وسائل الكتابة الحديثة كالآلات الراقنة والحواسيب والمطابع وغيرها من تقنيات التكنولوجيا الحديثة...؟ وهنا نتساءل بكل واقعية وبكل نزاهة، وبكل صدق ووفاء: هل في الإمكان توفير كل هذه الوسائل ؟.. وبأية كيفية؟.. وأية شركة يمكن أن تقتحم مشروعاً ضخماً من حيث التكاليف كهذا بالرغم من أن الإيرادات المتوقعة لا تشجع على المغامرة. ونحن نعرف أنه من المستحيل أن نجد شركة تخاطر برأسمالها في مشروع لا ترجو منه جني أرباح، لأن منطق الاستثمار هو الربح، ولا شيء غير الربح. بل الربح الكبير!!

هذا بالنسبة لتصنيع الآلة - إن حدثت المعجزة وتحول المستحيل إلى الممكن .. أما بالنسبة للاستعمال الفعلي فإن ذلك يكلف مبالغ إضافية ضخمة بحكم حتمية اقتناء التجهيزات الخاصة بكل لغة. ومعنى هذا أن الفرد عليه أن يكتني أجهزة عاملة بالعربية وأخرى بالفرنسية وثالثة بالأمازيغية، هذا على مستوى الفرد. أما على مستوى الدولة فعليها توفير الأجهزة والآلات، وما أكثرها، وما أثقلها من تكاليف باهظة ..!! وهل الجميع - أفرادا ودولة - مستعدون لتحمل هذا السخاء المحتوم؟ سؤال من السداجة الجواب عليه بـ«نعم».

2 - الحرف اللاتيني : أما الحرف اللاتيني فهو بعيد كل البعد عن أداء أصوات الأمازيغية؛ فمن ذلك مثلا الحروف: التالية: (ث - ح - خ - ذ - ش - ص - ض - ط - ظ - ع - غ - ق - م - ن). هذه المجموعة التي تشترك فيها العربية والأمازيغية دون معظم اللغات اللاتينية؛ مما اضطر كثيرا من المستعملين إلى تعديلات كثيرة في الحرف اللاتيني، لأداء الأصوات: (عربية وأمازيغية)، ومع ذلك فالأداء بقي مبتورا ومشوها بعيدا عن النطق الصحيح ؛ بل يتعذر النطق بها في كثير من الأحيان. وهذه أمثلة من كلمات أمازيغية لا يمكن بحال من الأحوال أدائها صحيحة بالحرف اللاتيني مهما أدخل عليه من تعديلات؛ مثل: (ثَجْرِيْرْتْ : جزيرة)، (يَكْنُتْ : كتب)، (أَزَكَّا : قبر) في حين أن أدائها يتم بدقة بحروف عربية معدلة تعديلا طفيفا .

أما إذا كتبت بالحروف اللاتينية فإن النطق بها يؤدي إلى الغموض: (أَزَكَّا : قبر. أَزَكَّا : غدا) أو يثير موجة من الضحك، قد تتحول إلى موقف تهكمي للتسلي لا للتعليم. ولقد جرب هذا فعلا.. حيث زعم أحد الزملاء أن الحرف اللاتيني أقرب إلى الأمازيغية من الحرف العربي. ولكي نقنعه باللموس أملينا عليه مقطوعة شعرية من شعر (سي محند وامحمد)، فكتبها بحروف لاتينية. ولما سمعنا قراءتها أثارت زوبعة من الضحك؛ لأنها حولت كثيرا من الكلمات إلى كلمات مضحكة أو مشوهة لا معنى لها، ولا

صلة لها بالأمازيغية أصلاً..! وهنا نطق الزميل في تعجب ودهشة وقال: «ما كنت أتصور هذا البعد الشاسع بين أصوات الأمازيغية والحروف اللاتينية» .

3 - الحرف العربي: لا شك أن التهمة واردة لا محالة بأن رأينا قد ينساق هو أيضاً مع العاطفة التي انتقدناها مع الآخرين..!! لكن دعونا أولاً نبتهل إلى الله تعالى ونقول: «اللهم لا تجعل عواطفنا تعاكس المنطق والحقيقة». ونعني بهذا أن العاطفة ليست دائماً بالضرورة مخطئة؛ إذ يمكن أن تكون عاطفة ما، في اتجاه واحد مع المنطق والحقيقة. خاصة إذا كانت النية سليمة والغاية شريفة، ولعل نجاح زعماء وعظماء التاريخ إنما تم بالالتحام الوثيق بين عواطفهم وبين الأهداف السامية التي سعوا إليها وحققوها بمسعاهم النبيل.

إذن هل يصلح الحرف العربي لكتابة الأمازيغية فعلاً ؟

الجواب: «نعم» و«لا» في نفس الوقت... فكيف ذلك ؟

إذا قلنا: يصلح الحرف العربي لكتابة الأمازيغية بالتمام والكمال... الجواب: «لا»؛ لأن هناك أصواتاً بالأمازيغية ليس لها من الحروف العربية ما يؤديها، وهي قليلة جداً لحسن الحظ. ولكن إذا قلنا: الحرف العربي أصلح وأنسب من غيره لكتابة الأمازيغية... الجواب: «نعم». ذلك أن ثمة خمسة أصوات فقط في الأمازيغية لا يوجد لها مقابل بالعربية؛ ولكن هذه المشكلة لا يتعذر حلها بل حلها في غاية من اليسر والسهولة؛ حيث يكمن الحل في تعديل بعض الحروف العربية تعديلاً طفيفاً لا يكاد يخرجها عن أصلها، حتى تؤدي كل الأصوات في الأمازيغية وبدون استثناء؛ لأنها في الأصل كانت حروفاً عربية. وهماهي الحروف المعدلة كما يلي:

ژ = زمعدل. مثلاً: (مَرَّزُوقُ : مرزوق). - ژ. ينطق به بين حرفي: [ز، ظ].

چ = ج معدل. مثلاً: (تَجْرِيرْتُ : جزيرة). - چ. ينطق به بين حرفي: [ج، ي].

گ = ك معدل. مثلاً: (بِگَنَپْ : كتب). - گ. ينطق به بين حرفي: [ك، خ].

ق = ق معدل مثلاً: (أَرَيِّفٌ : ربة) ؛ - ق . ينطق به كحرف [ج] المصرية. وهذا شائع عندنا في اللغة العامية.

پ = ب معدل. مثلاً: (يَسْپَا : بدأ) .. پ . ينطق به كحرف [v] اللاتيني .

ثم إن هذا التعديل لا يتطلب أي مجهود إضافي أو مبلغ مالي؛ لأن الحروف متوفرة بالحاسوب. ومعنى هذا أن الأمازيغية ستدخل الميدان العملي من بابه الواسع وعلى الفور؛ حيث تكتب بالحاسوب. بدلاً من أن تزحف زحفاً للحاق باللغات التي تقطع الطريق بسرعة البرق... ألا إن الاعتقاد بإمكانية هذا اللحاق ضرب من الوهم والخيال!! ومعنى ذلك أن الحواسيب المتداولة حالياً صالحة لكتابة الأمازيغية بأجهزة عصرية، وفي الحال؛ مما يسهل اندماجها بين اللغات السائدة ودون أن تكلف اقتناء أي أداة مهما كانت بسيطة، وبدون أي أتعاب، سواء على مستوى الأفراد أو الدولة.

وبهذا فقط نكون قد وفرنا على الأمازيغية مسافات شاسعة عليها أن تقطعها وذلنا أمامها كثيراً من العقبات عليها أن تقتحمها، وجنبناها طول الانتظار الذي قد يكون طريقها إلى القبر! كما وفرنا على الدولة جهوداً مضنية، ومبالغ باهظة.

نعم بهذا نمكنها من الاندماج في الميدان العملي؛ خاصة من حيث التجهيز الذي قد لا يتحقق بتاتا. الأمر الذي قد يجعلها عرضة للتخلي عنها بعد محاولات فاشلة.

هذا ولا أخال أن هذا الرأي مجرد انسياق عاطفي مع هوى النفس، بل هو نظرة صادرة عن إيمان، ووعي، وصدق، وإدراك؛ نظرة تستشف الصعوبات الجدية التي تتربص بمشروع تطوير الأمازيغية؛ وإن نحن اتخذنا القرار بكل تبصر وحكمة وحزم؛ دون أي اعتبار لإرضاء هوى فئة ما، على حساب مصلحة الأمازيغية؛ فإننا نكون قد قدمنا للأمازيغية خدمة جبارة لم تحظ بها في تاريخها عبر القرون، ووفرنا للوطن أموالاً ضخمة، وأتعاباً قد لانتهي .

تجربة عملية: لاشك أن كثيرا من الإخوة الكرام قد ترامى إلى أسماعهم أن ثمة مشروعا لترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية.

نعم..! لقد تمت ترجمة القرآن كله، بعون الله وفضله، يوم 16 مارس 2005. وهذه الترجمة استعملت فيها الحروف العربية، مع الحروف العربية المعدلة بطبيعة الحال، ولم نجد أية صعوبة لقراءة نص الترجمة، بل إننا مرتاحون كل الارتياح على الأداء الدقيق الذي وفرتة هذه الحروف. ولا يتطلب الأمر إلا التنبيه إلى كيفية قراءة الحروف المعدلة كما أشرنا آنفا. ولهذا فإننا ندعو بكل إخلاص ونزاهة واقتناع وحرص على مصلحة الأمازيغية نفسها - إلى كتابة الأمازيغية بالحرف العربي، حتى تندمج في الميدان العملي دون أية صعوبة، وإلا فإن إدماج الأمازيغية في الميدان العملي مشكوك فيه، ولا يبعث على التفاؤل؛ لأننا نخشى بكل جدية أن كتابة الأمازيغية بغير الحرف العربي سيكون بداية للتخلي عن المشروع بعد أن يصطدم بالعقبات والعراقيل - حقيقية كانت أو مفتعلة - عند التطبيق وما أكثرها..!

بقيت ظاهرة واقعية في غاية من الأهمية، لا يجوز تجاهلها بحال من الأحوال؛ تلك هي ظاهرة الحرف العربي السائد في الميدان العملي؛ وهذا ما يجعل الأمازيغية تدخل بيئة ترحب بها، لأنها تستعمل الأداة الموجودة؛ ألا وهو الحرف العربي، وهذا طبقا لقاعدة علم النفس التي ترى أنه ما من كائن غريب يحل في وسط جديد إلا واستقبل بالرفض أو القبول؛ فهو مرفوض إن كان لا يحمل أية عناصر تمت بصلة إلى الوسط الجديد، ولكنه يحظى بالقبول والترحاب إن كان يحمل عوامل ذات صلة بالوسط الجديد ...

ومعنى ذلك أن كل التلاميذ بالمدارس في مقدورهم قراءة الأمازيغية بمجرد أن يتعلموا قراءة العربية... وإلا فإننا نكلف أطفالنا أن يتعلموا ثلاثة أنماط من الكتابة ودفعة واحدة؛ [عربية، فرنسية، أمازيغية]؛ وهذا عكس ما يراه المربون؛ لأنه يشترى الانتباه، ويرهق المتعلمين، ويعرض المحاولات للفشل الذريع، والجهود للضياع الأكيد.

